اللَّطائِفُ التَّدبُّرِيَّةُ في قِصَّةِ مُوسى والخَضِرِ عليهما السلام (دِراسَةٌ تَحليْلِيَّةٌ)

د. ياسر بن إسماعيل راضي
أستاذ مشارك في قسم الدراسات القرآنية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة طيبة، المدينة المنورة
Email; aradi@taibahu.edu.sa

المستخلص:

تناولت الدِّراسة قصة نبي الله موسى عليه السلام وصحبته للخَضِر عليه السلام بهدف تلقي العلم وتحصيله والتي ذكرتها سورة الكهف دون غيرها. وقد هدفت الدِّراسة بشكل أساس إلى استنباط اللطائف التدبرية البلاغية والتفسيرية التي حوتها آيات هذه القصّة العجيبة.

واقتضت حاجة الدراسة استعمال المنهج التحليلي لمفردات الآيات، والمنهج الاستقرائي في كتب التفسير لاستخراج اللطائف التدبرية التي ذكرها العلماء في آيات هذه القصة تحديداً، كما استُعمل المنهج الاستنباطي للوصول إلى لطائف جديدة لم تذكر في كتب التفسير اجتهد الباحث في استنباطها.

وجاءت أهم نتائج الدِّراسة في أن لهذه القصة العجيبة في طلب العلم من دقائق التفسير، ولطائف التدبر ما يحتاجه المسلم عموماً وطالب العلم على وجه الخصوص.

الكلمات الدّالة (المفتاحية): لطائف، تدبر، موسى، الخَضِر، الكهف.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى صحابته الكرام الميامين، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فقد جعل الله تعالى عبادة التدبر الطريق المختصر للوصول إلى هدايات آيات التنزيل والعمل بها، قال تعالى:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة ص: ٢٩]، بل وجاء الذم والتوبيخ لمن أقفل قلبه عن هذه العبادة أو تغافل عنها! قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [سورة محمد ﷺ: ٢٤].

هذا وقد أفنى ثلة من العلماء أعمارهم في تأمّل كتاب الله تعالى وتدبره، فنالوا بذلك شرف تفسيره والكتابة في علومه، ولا يزال القرآن الكريم ينضح بمعجزاته، وعمق معانيه، ونفائس دلالاته، ودقائق لطائفه، وعلى هذا فقد رغبت الكتابة في قصة من قصص القرآن الكريم الفريدة في عرضها، والعجيبة في أحداثها وهي قصة موسى والخَضِر عليهما السلام متأملاً ما حوته القصة من لطائف تدبُّرية ومعان دقيقة يحتاجها المسلم عموما وطالب العلم على وجه الخصوص، وعنونت البحث بـ: اللطائف التدبرية في قصة موسى والخَضِر عليهما السلام (دراسة تحليلية).

أسباب اختيار الموضوع:

- قلة الكتابة في موضوع اللطائف القرآنية، علماً أن مفردة اللطيفة من المصطلحات التي اعتنى بها علماء التفسير في تفاسيرهم بهدف تدبر القرآن الكريم والتأمل في معانيه وإعجازه.

- اختيار قصة موسى والخَضِر عليهما السلام لتعلقها بمسألة علو الهمَّة في طلب العلم؛ ولما حوته هذه القِصَّة من غريب الأحداث وندرة الوقائع التي تؤنس المسلم وهو يقرأ في سورة الكهف كل يوم جمعة.

أهداف البحث:

- ترغيب طالب العلم للكتابة في موضوع اللطائف التدبرية في كتب التفسير وبيان مناهج العلماء في إيرادها.
- جمع اللطائف الخاصَّة بقصَّة موسى والخَضِر عليهما السلام من كتب التفسير.

مشكلة البحث: وتتضح في الآتي: ما اللطائف التدبرية التي احتوتها قصة موسى والخَضِر عليهما السلام وذكرها العلماء في كتب التفسير وغيره؟ وهل يمكن استنباط لطائف أخرى تعطي إضافة علمية جديدة؟

الدِّراسات السَّابقة:

لا شك أن قصة موسى والخَضِر عليهما السلام تناولها علماء التفسير قاطبة بالشرح والبيان، وكتبت فيها مؤلفات ومقالات منوعة وخطب عديدة. ولكن السؤال: هل أفردت القصة بمؤلف خاص أو بحث علمي مستقل؟ من خلال البحث الميداني والاطلاع في قاعدة البيانات لعناوين البحوث العلميِّة والدِّراسات المتخصِّصة الورقية منها والتِّقنيَّة لم أتوصل إلى دراسة علميَّة مطابقة لعنوان البحث، لا سيما وهو يتناول مسألة اللطائف التدبرية على وجه الخصوص، لذا أحسب أن موضوع البحث فيه جدة وإضافة علمية، والله تعالى أعلم.

هيكل البحث: تنقسم الدراسة إلى مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الأول: معنى: (اللطيفة).
المطلب الثاني: موسى عليه السلام.
المطلب الثالث: الخَضِر عليه السلام.
المطلب الرابع: تعريف موجز بسورة الكهف.

المبحث الثاني: اللطائف التدبرية في قصة موسى والخَضِر عليهما السلام.

المطلب الأول: **رحلة في طلب العلم.**
أولاً: المعنى الإجمالي للآيات: (60 – 64).
ثانيـًا: اللطائف المستنبطة من الآيات.
المطلب الثاني: **التعرُّف على المعلم وشرط التعليم**
أولاً: المعنى الإجمالي للآيات: (65– 70).
ثانيـًا: اللطائف المستنبطة من الآيات.
المطلب الثالث: **ثلاثة دروس في العلم.**
أولاً: المعنى الإجمالي للآيات: (71 –77).
ثانيـًا: اللطائف المستنبطة من الآيات.
المطلب الرابع: **شرح الدروس الثلاثة في العلم وبيانها.**
أولاً: المعنى الإجمالي للآيات: (78– 82).
ثانيـًا: اللطائف المستنبطة من الآيات.

الخاتمة؛ وتشمل نتائج البحث والتوصيات.

هذا جهد المقل، والله أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصـًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به قارئ القرآن الكريم عمومـًا وقارئ أو حافظ سورة الكهف على وجه الخصوص. والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الأول: معنى (اللطيفة).

جاء في مقاييس اللغة: (لطف: اللام والطاء والفاء أصل يدل على رفق، ويدل على صغر في الشيء).[1] وفي أَسماءِ اللهِ تعالى: (اللَّطيفُ) هُو الذِي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدَّرها له من خلقه، يُقال: لَطَفَ بهِ ولهُ، بالفتحِ، يَلْطُفُ لُطْفا، إذا رفق بهِ، فأمَّا لَطُفَ بِالضَّمِّ يَلْطُفُ، فمعناه صغُرَ وَدَقَّ.[2] واللَّطيفُ من الكلام: ما غمُض معنَاهُ وخَفي.[3]

أما **تعريف اللطيفة اصطلاحـًا** فلعل أوَّل من عرَّفها بمعناها الاصطلاحي هو الإمام الجرجاني (ت: 816هـ). يقول: **" اللطيفة كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم لا تسعها العبارة"**.[4] وبهذا المعنى يتّضح بأن اللطيفة أخص من مجرد بيان لمعاني مفردات الآية أو التفسير الإجمالي أو التحليلي لها.

---

[1] **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (بيروت مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية – 1406 هـ – 1986 م)، (ص: 834).

[2] **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ – 1979م)، (4/ 251).

[3] **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، تحقيق ياسر أبو شادي، ومجدي السيد، (مصر: المكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت)، (12/ 312).

[4] ينظر: **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، 1403هـ –1983م)، (1/ 192).

وقد تأتي اللطيفة في كل آية من آيات القرآن الكريم -لأنه كلام الله تعالى المعجز- فيهتدي إليها من يهتدي من المفسرين أو العلماء أو الدارسين، وذلك بحسب إمعان النظر، وطول التدبر، وقوة الفهم، ودقة الاستنباط في أجزائها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده. لذا تتفاوت كتب التفسير في إيراد هذه اللطائف بين القلة والكثرة، والدّارس لهذه الكتب يجد أن من أشهر علماء التفسير الذين استعملوا هذا المصطلح وعملوا به هم:

أبو بكر الرازي (ت: 606هـ) في مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، **وأبو حيان الأندلسي** (ت: 745هـ) في البحر المحيط، **وابن عادل الحنبلي** (ت: 775هـ) في اللباب في علوم الكتاب، **ونظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري** (ت: 850هـ) في غرائب القرآن ورغائب الفرقان. **والخطيب الشربيني** (ت: 977هـ) في السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. **وابن عجيبة الحسني** (ت: 1224هـ) في البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. **وشهاب الدين محمود الألوسي** (ت: 1270هـ) في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، **ومحمد جمال الدين القاسمي** (ت: 1332هـ) في محاسن التأويل. **ومحمد رشيد رضا** (ت: 1354هـ) في تفسير المنار. **ومحمد الطاهر ابن عاشور** (ت: 1393هـ) في التحرير والتنوير، وغيرهم كثير على تفاوت بينهم.

المطلب الثاني: موسى ﷺ.

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام[1]، من أنبياء الله ورسله، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [سورة مريم: ٥١] بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل في مصر بعد نبي الله يوسف ﷺ، وهو واحد من أولي العزم من الرسل عليهم السلام الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يقتدي بهم في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥].

وقصص موسى ﷺ مذكورة في القرآن الكريم في مواضع متعددة مبسوطة مطولة وغير مطولة كما ذكرها الحافظ ابن كثير في تاريخه وتفسيره [2]. ومن قصصه الفريدة التي ذكرها القرآن الكريم -لتكون موضع عبرة وعظة- قصته المشهورة مع الخَضِر ﷺ في سورة الكهف والتي هي موضوع البحث.

المطلب الثالث: الخَضِر ﷺ.

جاء في اسمه أنه: إيليا بن ملكان بن فالغ -من نسل- نوح ﷺ.[3] وقيل أنه ابن عم الجد الثاني لإبراهيم ﷺ .[4] أما عن شهرته بالخَضِر فهو لقبه كما بيَّنه

---

[1] تنظر ترجمته في **البداية والنهاية،** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408، هـ - 1988 م)، (1/273). **والقصص القرآني،** صلاح الخالدي، (دمشق: دار القلم، ط3، 2011م)، (2/259).

[2] ينظر: **البداية والنهاية،** ابن كثير، (1/ 206). وتفسير ابن كثير عموماً.

[3] **البداية والنهاية،** ابن كثير، (1/ 380).

[4] ينظر: **التحرير والتنوير،** ابن عاشور (15/ 363).

الحديث الصحيح؛ قال ﷺ: "إنما سمي الخَضِر لأنه جلس على فروة بيضاء – (وجه الأرض) – فإذا هي تهتز من خلفه خَضراء".[1] والخَضِر عليه السلام لم يذكر في تاريخنا الإسلامي أو في الكتاب والسنة إلا مرَّة واحدة في سورة الكهف، وما عدا ذلك لم يثبت في قصصه شيء عند ثلة من المحققين من علماء الإسلام، والله أعلم.

وأهم مسألتين تتعلق بشخصية الخَضِر عليه السلام التي اختلف فيها المؤرخون والعلماء –ويفيد منها القارئ– هما:

المسألة الأولى: هل الخَضِر نبيٌّ أو رجل صالح من أولياء الله؟

الجواب: الراجح عند جمهور العلماء: أنه نبيّ، والأدلة مستفيضة في ذلك، منها قول الشوكاني: " وقد ذهب الجمهور إلى أن الخَضِر كان نبيـًا" [2]

المسألة الثانية: هل الخَضِر عليه السلام ما زال حيـًا حتى الآن؟

الجواب: الراجح عند العلماء أن الله توفَّاه كغيره من الأنبياء[3] والأولياء والصالحين، ويكفينا في الاستدلال قول الحافظ ابن كثير؛ إذ يقول: " أخذ الله ميثاق كل نبي على أن يؤمن بمن يجئ بعده من الأنبياء وينصره، واستلزم ذلك الإيمان وأخذ الميثاق لمحمد ﷺ لأنه خاتم الأنبياء فحق على كل نبي أدركه أن يؤمن به،[4]

---

[1] **أخرجه البخاري**، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخَضِر مع موسى عليهما السلام، رقم: ((3402)).

[2] **فتح القدير**، الشوكاني، (ص1021).

[3] عدا عيسى ابن مريم عليه السلام الذي رفعه الله وسينـــزل في آخر الزمان كما هو ثابت ومعلوم في أدلة القرآن والسنة.

[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨١]

فلو كان الخَضِر حياً في زمانه، لما وسعه إلا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره، ...".[1]

المطلب الرابع: التعريف بسورة الكهف.

سورة الكهف سورة مكيَّة في قول جميع المفسرين[2]، وهي من السور التي نزلت جملة واحدة[3]. وآيها: مئة وعشر (110) آية، وهو المدوَّن في المصاحف.

تحدّثت السورة عن أربع قصص فريدة لم تتكرَّر أو تذكر في غيرها من سور القرآن الكريم -منها قصة موسى والخَضِر عليهما السلام- وذلك على النحو الآتي:

القصة الأولى: قصة أصحاب الكهف الذين فرُّوا بدينهم من ظلم الملك الوثني، إلى الاعتصام بالكهف حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا. ويُعنوَن لهذه القصة بالعصمة من فتنة الدين.

القصة الثانية: قصة الكافر بنعمة ربه صاحب الجنتين، وأخيه المؤمن الشاكر لله ونعمه. ويعنوَن لها بقصة العصمة من فتنة المال.

القصة الثالثة: قصة موسى والخَضِر – عليهما السلام- والحوار العجيب الذي دار بينهما. ويعنوَن لها بقصة العصمة من فتنة العلم، إذ افتتن موسى عليه السلام بعلمه فأراد الله أن يعلمه أن هناك من هو أعلم منه.

---

[1] **البداية والنهاية**، ابن كثير، (1/ 347-348).

[2] ينظر: **المحرر الوجيز**، ابن عطية، (3/ 557)، **تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية**، إياد القيسي، (4/ 253)، **روح المعاني**، الآلوسي، (8/ 270).

[3] **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، (15/ 242).

القصة الرابعة: قصة الملك ذي القرنين الذي ملك مشارق الأرض ومغاربها، وتعرض إلى فتنة المُلك فشكر وأعطى وبنى ردم (سدّ) قوم (يأجوج ومأجوج) بلا مقابل. ويعنوَن لها بقصة العصمة من فتنة السلطان.

هذه هي أبرز الموضوعات في سورة الكهف وما عداها من مقاطع، إما مقدِّمة لها مثل الآيات الثمانية الأولى من السورة، أو خاتمة لها مثل الآيات الإحدى عشرة الأخيرة، أو تعقيب أو توضيح أو دلالات عليها كالإشارة إلى فتنة المال والبنين والإشارة إلى قصة امتناع إبليس عن السجود لآدم عليه السلام، والاعتصام بالكتاب والسنة وجزاء المؤمن والكافر...الخ.

ومن هنا يمكن القول: أن المحور العام للسورة هو: **العصمة من الفتن،** لأن الدنيا دار ابتلاء، ويؤكد هذا ويقويه العلاقة الوثيقة بين فضائل السورة ومحورها العام وموضوعاتها، فقد جاء من فضائل السورة أن السكينة تنزل بقراءتها[1]، والنور يضيء لصاحبها،[2] وهذه الصفات نفسها تنطبق لمن اعتصم بالكهف واعتزل الفتن فهو في سكينة واطمئنان، ونور وهداية من ربٍّ منَّان.

---

[1] كما ثبت في **صحيح البخاري،** عن البراء بن عازب، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين (حبلين طويلين)، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: **"تلك السكينة تنزلت بالقرآن". صحيح البخاري،** كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل الكهف، حديث رقم: (5011)، (ص898).

[2] كما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: **"من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين"** . الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، في كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الكهف، رقم: (400) (2/ 399)، ، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه".
=

وبالجملة: فقصة موسى والخَضِر عليهما السلام ذكرت في هذه السورة العظيمة التي يقرأها المسلم في كل يوم جمعة في الأعم الأغلب، مما يحتم عليه أن يقف على تفسيرها ومعرفة معانيها ليستنبط منها المعاني التربوية، والقواعد الأخلاقية، واللطائف البلاغية لأخذ العبرة والعظة منها في تطوير ذاته وزيادة إيمانه.

❁❁❁

المبحث الثاني: اللطائف المستنبطة من آيات قصة موسى والخَضِر عليهما السلام

شملت قصة موسى والخَضِر عليهما السلام اثنتين وعشرين آية من سورة الكهف، وقد جاء ذكر القصة في كتب السنة النبوية وفي مقدمتها كتابي: صحيح البخاري وصحيح مسلم.

تبدأ القصة بذكر السبب الرئيس لرحلة موسى ﵇ لطلب العلم وذلك عندما وقف خطيباً في قومه؛ ففي الصحيحين عن أُبيّ بن كعب ﵁: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((**إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فَسُئِل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله في مكتلٍ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثُمَّ، فأخذ حوتًا، فجعله في مكتل، ثُمَّ انطلق**

=

وأخرجه السيوطي في **الدر المنثور** (9/ 476)، وعزاه للحاكم والبيهقي. وقال الألباني – رحمه الله- في **صحيح الجامع الصغير**، رقم (634)، (5/ 340): "صحيح".

وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون ...)) **الحديث.**[1] وتكتمل أحداث القصة في آيات سورة الكهف والتي يمكن عَنْوَنَة مقاطعها واستنباط اللطائف التَّدبريَّة من كل مقطع من مقاطعها على النحو الآتي:

المطلب الأول: رحلة في طلب العلم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ .

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات: (60 – 64).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ يوشع بن نون[2]: ﴿ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ أي: لا أزال أسير حتى أصل للمكان الذي أرشدنيه ربي للقاء

---

[1] ينظر: **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، رقم (4727،4726،4725،3402،3401،3400).
وصحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخَضِر عليه السلام، رقم: (6163،6164،6165،6068).

[2] ثبت اسمه في الصحيحين في الروايات السالفة الذكر، فراجعها. وذكر الآلوسي في تفسيره أنه يوشع بن نون ابن فراثيم، من ذرية يوسف عليه السلام، كان يخدم موسى عليه السلام ويتعلم منه، لذا أضيف إليه، والعرب تسمى الخادم فتى لأن الخدم أكثر ما يكونون في سن الفتوة. ينظر: **روح المعاني**، الآلوسي، (8/ 414).

الخَضِر عليه السلام عند ملتقى البحرين = (مجمع البحرين)[1] ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ولو أسير زمنًا طويلةً يقَّدر بالسنين شوقًا لطلب العلم، فسارا ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ وهو الموقع المحدَّد وجدا صخرة استظلا تحتها، ونام موسى عليه السلام وفتاه (وفي أصل الصخرة عين يقال لها: الحياة، لا يصيب من مائها شيء الاّ حَيِيَ، فأصاب الحوت من ماء تلك الصخرة، فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر).[2] وشق طريقه فيه، وهو قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي: طريقًا ومسلكًا. قال ﷺ: ((**فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره في حجر**))[3]. أي مَمَرٌّ في البحر جامدا لم ينطبق الماء بعده، قال ﷺ : ((**فكان للحوت سرباً، وكان لموسى وفتاه عجباً**))[4]. يقول الشوكاني: " وموضع التعجب أن يحيا حوت قد مات وأُكِل شِقه، ثم يثب إلى البحر ويبقى أثر جريته في الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر !" ، [5]وفي هذه الأثناء استيقظ يوشع، وعلم بالأمر وقال: ((لا أوقظُهُ شفقةً عليه، فلما استيقظ نسي أن

---

[1] اختلف المفسرون في تحديده، فقيل: عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج وهو بحر الأندلس، وقيل: هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق، وقيل بحر الأردن وبحر القلزم، وقيل غير ذلك. ينظر: **التسهيل** لابن جزي، ص 368 ، **وفتح القدير** للشوكاني، ص1016. إلاّ أن الدراسات الأثرية الحديثة أكدت أن مجمع البحرين يقع بمنطقة رأس محمد بشرم الشيخ عند نقطة التقاء خليج العقبة وخليج السويس بجنوب سيناء بمصر. تراجع خريطة الموقع الجغرافي لمجمع البحرين وكامل الدراسة بموقع: **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**. www.quran-m.com

[2] أخرجه **البخاري**، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ ، رقم: (4727).

[3] أخرجه **البخاري**، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ ، رقم: (4726).

[4] أخرجه **مسلم**، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخَضِر عليه السلام، رقم: (6163).

[5] **فتح القدير**، الشوكاني، (ص1017).

يخبره، وهو قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ أي: انطلقا بقية يومهما وليلتهما مسافة بعيدة، وقد تركا موقع مجمع البحرين، وفي صباح اليوم التالي أحس موسى عليه السلام بالجوع والتعب؛ ﴿ قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ هنا تذكر الفتى يوشع خروج الحوت من المكتل، ﴿ قَالَ ﴾ لموسى عليه السلام: ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ عند الصخرة والسبب ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ فيا موسى لو نظرت إلى الحوت حيث ترك المكتل ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ من الأثر الذي تركه على سطح الماء! هنا فرح موسى عليه السلام لوقوع العلامة التي ينتظرها للقاء الخَضِر عليه السلام ﴿ قَالَ ﴾ لفتاه ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ أي: نطلبه وننتظره، دعنا نرجع يا يوشع ونتتبع أثرنا لنهتدي الطريق، ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ أي: طريقهما الذي جاءا منه حتى وصلا إلى الصخرة في مجمع البحرين. وهنا بدأ المشهد الثاني من القصة.

ثانيـًا: اللطائف المستنبطة من الآيات: (60 – 64).

1. اختلاف التعبير في وصف الحوت؛ قال في أوّل القصة: ﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ وقال بعد ذلك: ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ يفسِّره قول النبي ﷺ: **" فكان للحوت سربـًا، وكان لموسى وفتاه عجبـًا "** [1] . فتأمل.

---

[1] رواه **مسلم**، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخَضِر عليه السلام، رقم: (170– 2380).

2. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ يقول ابن عطية: "إنما كان النسيان من الفتى وحده، نسي أن يُعلم موسى بما رأى من حاله من حيث كان لهما زاداً، وكانا بسبب منه، فنسب فعل الواحد فيه إليهما، وهذا كما تقول فعل بنو فلان الأمر إنما فعله منهم بعض".[1] أقول: كان النسيان من الفتى وحده، كما نصت الآية بعد ذلك في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ لكن في نسبة النسيان إلى موسى عليه السلام والفتى معـًا إشارة إلى فضل الصحبة والتوافق في المقصد والهدف، فتأمَّل.

3. ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ (ذكر الإواء إلى الصخرة مع أن المذكور فيما سبق بلوغ مجمع البحرين: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ، لزيادة تعيين محل الحادثة، فإن المَجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد بنسبة الحادثة إليه. ولتمهيد عذر- فتى موسى عليه السلام-، فإن الإواء إلى الصخرة والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان عادة).[2]

4. هاء الضمير في كلمة: (أنسانيهُ) جاءت مضمومة: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ والكسر أشهر لأن حركة الكسرة بعد الياء أخف[3]، وفي ضمها خروج عن مألوف النطق للكلمة؛ وفيه دلالة على شدة وسوسة الشيطان وتأثيره على الإنسان، فما حدث من خروج الحوت الميت المطبوخ من

---

(1) **المحرر الوجيز**، ابن عطية، (3/ 599).

(2) **روح المعاني**، اللآلوسي، (8/ 421).

(3) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، (15/ 367).

المكتل حيًا يسير في البحر أمر لا ينسى أصلاً! يقول ابن عاشور: " ومع كون المنسي أعجوبة شأنها أن لا تنسى يتعين أن الشيطان ألهاه بأشياء عن أن يتذكر ذلك الحادث العجيب وعلم يوشع أن الشيطان يسوءه التقاء هذين العبدين الصالحين، وما له من الأثر في بث العلوم الصالحة فهو يصرف عنها ولو بتأخير وقوعها طمعا في حدوث العوائق".[1] **فتدبّر**.

5. ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾ إضافة النسيان إلى فعل الشيطان مما سيستنبط من الآية، وفيه أدب مشروع وهو إذا نسي المسلم شيئًا من القرآن أن يقول: (نُسِّيت) بضم النون وتشديد السين وكسرها لينسب النسيان إلى الشيطان، ولا يقول: (نَسيت) كي لا ينسب النسيان إلى نفسه وكأنه يتعمده، ودليله قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **" لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ»**[2] **فتفكر!**

6. ﴿ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾. تأمّل كيف يكون الإصرار على تحقيق الأهداف فهو من خطوات النجاح وأسسه، فطلب العلم يحتاج إلى صبر ومجاهدة مع النفس. فموسى عليه السلام رسم هدفه في طلب العلم ومقابلة

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] صحيح **مسلم**، كتاب: فضائل القرآن، باب: تعهد القرآن، وكراهية قول نسيت آية كذا، وجواز قول أُنسيتها، رقم: (229).

المعلم ولو استغرقت رحلته لمقابلة معلمه مدة طويلة من الدهر؛ وهو ما عبّر عنه بالحُقب -وجمعه أحقاب- الذي يعادل ثمانين سنة أو أكثر.

7. حذف حرف الياء من كلمة: (نبغي) في قوله تعالى:﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ ، فقد اختلف القرّاء في إثبات ياء (نبغ) بعدها، فحذفها نافع وأبو عمرو والكسائي في حال الوقف على الكلمة، وأثبتوها في حال وصلها، وأما ابن كثير أثبتها في الحالين، وباقي الأئمة حذفوها في الحالين؛ واجتمعت على ذلك المصاحف تبعـًا للرسم.[1] قال بعض العلماء: " وإنما حذفت تشبيهـًا بالفواصل".[2] وقال آخرون: " حذفت الياء طلبا للتخفيف لدلالة الكسرة عليها" .[3] وهذه الكلمة (نبغ) ذكرت من دون حذف الياء في قول إخوة يوسف: (قالوا يا أبانا ما نبغي ...) فحذفت هناك في قول موسى عليه السلام لأن فقدان الحوت هو العلامة الموصلة إلى الرجل الصالح الذي هو نهاية المطلوب والبغية؛ بينما اثبتت في قول إخوة يوسف

---

[1] ينظر: **مختصر التبيين لهجاء التنـزيل**، للإمام أبي داود سليمان بن نجاح، دراسة وتحقيق: أحمد بن أحمد شرشال، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 2002م)، (3/ 812). **والنشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع، (المطبعة التجارية الكبرى، د.ت)، (2/ 316).

[2] ينظر: **اللباب في علوم الكتاب**، ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م)، (12/ 528).

[3] **مفاتيح الغيب**، الرازي، (7/ 4409).

لأن الحصول على البضاعة كانت نهاية بغيتهم[1]، وهذا من جمال التعبير القرآني، فتأمّل.

المطلب الثاني: التعرف على المعلم وشرط التعليم: (اللقاء الأول بين موسى والخَضِر عليهما السلام)

قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات: (65 –70).

وصل موسى عليه السلام وفتاه إلى عَين الموضع الذي تركاه عند الصَّخرة في مجمع البحرين، وأراه موضع الحوت الذي سرى في البحر وذهبا يلتمسان الخَضِر عليه السلام ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾ وهو الخَضِر عليه السلام، وصف الله ما عنده، فقال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ يقول ابن جزيّ: "النبوة".[2] ويقول الآلوسي: "والجمهور على أنها الوحي والنبوة".[3] وقال: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ أي:

---

[1] **سر زيادة وحذف الياء وإبدالها في الرسم القرآني**، عبد المجيد العرابلي، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1 ، 2010م، ص40.

[2] وهو ما رجحناه سابقًا، ينظر: **التسهيل**، ابن جزيّ، (2/ 369).

[3] **روح المعاني**، الآلوسي، (8/ 425).

علماً لا يكتنه كنهه[1] ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب وأسرار العلوم الخفية، وذكر ((لُّدنا)) قيل: لأن العلم من أخص صفاته تعالى الذاتية كأنه قيل: علماً يختص بنا ولا يُعلم إلا بتوقيفنا.[2] يقول ﷺ: ((**فإذا هو بالخَضِر عليه السلام مسجَّى ثوباً قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه مغطاً بثوبه مستلقياً على القفا، فسلم عليه موسى عليه السلام،فكشف الثوب عن وجهه قال: وعليكم السلام. وفي رواية: وأنَّى بأرضك السلام؟**))[3]. وهذا استفهام من الخَضِرعليه السلام، يستبعد فيه تحقق السلام على الأرض!

يقول الخالدي[4]: "وكأن الخَضِر بهذا الاستبعاد يشير إلى طبيعة حياة البشر على هذه الأرض، تلك الحياة القائمة على التدافع والتخاصم، والتناقض والتنازع، وينتج عن ذلك الخلاف والاقتتال، فتقع الحروب، وتنشب المعارك بين الأمم".[5] رد موسى عليه السلام فقال: أنا موسى. قال الخَضِر عليه السلام: موسى بني إسرائيل؟

قال: نعم، أتيتك، ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ أي: علماً ذا رشد، أي: هدى وإصابة خير.[6]

---

[1] كنه الأمر: أدرك حقيقته وغايته وجوهره.

[2] المصدر السابق، (8/ 439).

[3] سبق تخريجه في الصحيحين في المقطع الأوَّل من الآيات.

[4] دكتور معاصر؛ صلاح عبد الفتاح الخالدي، من علماء التفسير وعلوم القرآن في الأردن له مؤلفات كثيرة مفيدة، وله حلقات ودروس مرئية على موقع: YouTube.

[5] ينظر: **القصص القرآني**، الخالدي، (ص313).

[6] **محاسن التأويل**، القاسمي، (7/ 2726).

فرد الخَضِر عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ أي: ما لم تخبر حقيقته، يا موسى! إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه[1]. ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ فهنا اشترط عليه الخَضِر عليه السلام شرط التعلم ليختبر صبره؛ ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ حتى أخبرك بأمره، فإنك سترى العجب العجاب من الأحداث التي ظاهرها قد يكون مخالفة للفطر السليمة، وحقوق الإنسان، والذوق العام والأخلاق الحميدة! ولكن اصبر حتى أبادرك أنا بخبرها. فوافق موسى عليه السلام على الشرط، وهو في شوقٍ ورغبة شديدة لبداية الرحلة.

ثانياً: اللطائف المستنبطة من الآيات: (65– 70).

1. ذِكرُ الرحمة في قوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ قبل العلم في قوله: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ إشارة إلى أن جميع الأفعال الثلاثة التي سيقوم بها الخَضِر عليه السلام هي في أصلها رحمة من الله وفضل، وأن هذا العلم الذي أوتيه الخَضِر عليه السلام مصحوبا بالرحمة والمصلحة والخير من الله، وإن كان ظاهره العكس ما دعا موسى عليه السلام إلى استنكاره. وهذا يقوى عند المؤمن الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره خيره وشره، فقد يرى الإنسان بعض الأقدار التي تصيبه شرا وهي له خير، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ

[1] أخرجه **البخاري**، سبق تخريجه في المقطع الأول من الآيات.

لَكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

2. قال: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ ولم يقل: وآتيناه! يقول الآلوسي: "وفي اختيار (علمناه) على (آتيناه) من الإشارة الى تعظيم أمر هذا العلم ما فيه، وهذا التعليم يحتمل أن يكون بوساطة الوحي المسموع بلسان الملَكَ، أو بإشارة الملَكَ من غير بيان بالكلام، ويسمى: بالنفث. كما وقع للنبي ﷺ".[1] وفي قوله: ﴿ مِن لَّدُنَّا ﴾ تفخيم لشأن العلم ذلك العلم، وتعظيم له.[2]

3. قول موسى للخَضِر عليهما السلام: ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾، مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه.[3] يقول الشوكاني: " وفي الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب".[4]

4. تكرَّر لفظ الصبر سبع مرات على لسان الخَضِر وموسى-عليهما السلام- ﴿ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ ﴿ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ ﴾ ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا ﴾، ﴿ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ ثلاث مرات، ﴿ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ وفيه ملحظ؛ وهو أن يدرك

---

(1) **روح المعاني**، الآلوسي، (8/ 439) بتصرف.

(2) **فتح القدير**، الشوكاني، (ص1017).

(3) **التسهيل**، لابن جزي، ص370.

(4) **فتح القدير**، الشوكاني، (ص1017).

طالب العلم أن خلق الصبر ومجاهدة النفس من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها في رحلة الطلب.

5. قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ قاعدة أخلاقية في السمع والطاعة والتواضع من الطالب نحو أستاذه في طلب العلم. يقول الرّازي: "إن رأى المعلم أن في التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعـًا وإرشاداً إلى الخير. فالواجب عليه ذكره، فإن السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور والنخوة، وذلك يمنعه من المتعلم".[1]

6. ﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ طلب موسى عليه السلام أن يتعلم ما فيه رشد وهداية، ولم يحصل فيه ضلال أو غواية. وفي هذا تنبيه على طالب العلم إن وجد في استاذه ما يخرجه عن هداية نفسه ورشدها من سوء خلق أو علم يماري فيه العلماء ويتكلم فيهم؛ يتركه، فلا خير فيه. **فاعقِل**.

7. (من) في قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾ للتبعيض، أيّ: لا أطلب مساواتك في العلوم، وإنما أريد بعضـًا من علومك، كالفقير يطلب من الغني جزءاً من ماله.[2]

8. في قوله: ﴿مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ إشارة إلى قوة الأحداث التي لا يستنبط مغزاها إلا صاحب خبرة، (والخبير بالأمور هو العالم بخفاياها)[3].

---

(1) **مفاتيح الغيب**، الرازي، (7/ 140).

(2) **فوائد في طلب العلم من قصة موسى والخضر عليهما السلام**، إبراهيم بن فهد الودعان، 1349هـــ، منشور على شبكة الألوكة www.alukah.nen

(3) **فتح القدير**، الشوكاني، (ص1018).

9. ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ في الآية جواز أن يشترط العالم على تلميذه ما يشاء إن أراد مصاحبته بما ليس بمحرم، وكذلك كل رفقة في سفر أو غيره يجوز فيها الشرط على ما سبق.[1]

المطلب الثالث: ثلاثة دروس في العلم. (حوار بين موسى والخَضِر عليهما السلام)

قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات: (71 –77).

بدأت رحلة الطلب وتلقى فيها موسى عليه السلام عنوانات ثلاثة دروس فقط دون شرحها من قبل أستاذه الخَضِر عليه السلام ! وهي كالآتي:

الدرس الأول: خرق السفينة التي حملتهما من دون سبب. انطلق الخَضِر وموسى –عليهما السلام–يمشيان على ساحل البحر[1] فمرّت بهما سفينة، فكلماهم

[1] **تدبر سورة الكهف**، ناصر العمر، (ص 109).

أن يحملوهما، فعرفوا الخَضِرﷺ فحملوهما بغير أجر، ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ ﴾ عمد الخَضِر ﷺ إلى لوح من ألواحها و﴿ خَرَقَهَا﴾ أي: انتزع اللوح شرط أن لا تغرق السفينة. هذا الفعل المفاجئ أذهل موسى ﷺ وهو يراقبه، ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ ! قوم حملونا بغير أجر، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها؟! ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ ! أي: فعلاً عظيماً منكراً! ونسي موسى ﷺ شرط المصاحبة والتعليم، فذكَّره الخَضِر ﷺ بكل لطف وأدب، ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ فاعتذر منه موسى ﷺ مباشرةً ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾ من الشرط، فإن المؤاخذة به تفضي إلى العسر، لذا قال له: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ أي: لا تعسّر علّي متابعتك، بل يسِّرها علّي، بالإعفاء، وترك المناقشة.[2] قال ﷺ ((**وكانت الأولى من موسى نسيانًا**))[3] قَبِل الخَضِر ﷺ عذره، وبينما هما كذلك على ظهر السفينة إذ جاء عصفور فوقع على طرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخَضِرﷺ: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما أنقص هذا العصفور من هذا البحر.[4] وفيه إشارة واضحة وتأكيدا لموسى ﷺ أن يصبر، فما زال في أول طريق العلم!

=

(1) أقول: يبدو أن الفتى يوشع غاب هنا عن الرحلة الثنائية بين موسى والخَضِر -عليهما السلام- إذ سياق الآيات والأحاديث تدل على ذلك، وليس في البحث عن السبب كبير فائدة، فتدبر.

(2) **محاسن التأويل**، القاسمي، (7/ 2727).

(3) أخرجه **البخاري**، رقم: (4726)، سبق تخريجه.

(4) أخرجه **البخاري**، رقم: (4726)، سبق تخريجه.

الدرس الثاني: قتل غلامٍ من غير ذنب وهو لم يبلغ الحلم!

خرج الخَضِر وموسى – عليهما السلام- من السفينة ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا ﴾ وإذ بالخَضِر عليه السلام ينظر إلى غلامٍ يلعب مع الغلمان؛ – وفي رواية كان كافراً ظريفـاً- فأخذ رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، وفي رواية: فأضجعه ثم ذبحه بالسكين؟![1] نظر موسى عليه السلام إلى هذا الموقف العجيب ولم تصدق عيناه ما رأى؛ يقول النبي ﷺ: ((**فَذُعِر**[2] **عندها موسى عليه السلام ذَعرّةً منكرة**)).[3] ولم يتمالك نفسه ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ أي: لم تقتل نفساً فتُقتل! بل هي زكية طاهرة من موجبات القتل وأسبابه ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾! تستنكره العقول السليمة، بل هو أنكر من فعلك الأوَّل وهو خرق السفينة لأنه يمكن تداركه بالسد والإصلاح، أما هذا فلا سبيل إلى تداركه بوجه ما؟![4] تعجَّب الخَضِر عليه السلام للمرة الثانية من موسى عليه السلام فقال معاتبـاً ومذكِّراً له بالشرط الأول: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ !.

هنا علم موسى عليه السلام أنه خَرَق الشرط للمرة الثانية، فاشترط هو على نفسه شرطـاً مؤكداً للشرط الأول كي يلزم نفسه بالصبر ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا ﴾ يا خَضِر– عليه السلام– فلك الحق لمفارقتي ﴿ فَلَا تُصَٰحِبْنِى ﴾ لأنك ستكون قد عذرتني

---

[1] أخرجه **البخاري**، برقم: (4725،4726). مرجع سابق.

[2] ذعر: خاف خوفـاً شديداً، وفزع.

[3] **محاسن التأويل**، القاسمي، (7/ 2727). بتصرف.

[4] المصدر السابق نفسه.

ثلاث مرات ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾، فلم يرُدّ عليه الخَضِر عليه السلام أو يعلق! هنا قال ﷺ: ((رحمة الله علينا وعلى موسى عليه السلام لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذَمَامَةٌ[1])).[2]

الدرس الثالث: بناء جدار في قرية بخيلة من دون أجر.

تابع الخَضِر وموسى - عليهما السلام - سيرهما ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ وقفا عندها ثم دخلا هذه القرية، وطلبا من أهلها طعاماً: ﴿ اَسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾، وكانت المفاجأة من أهل القرية على غير العادة من تقديم الكرم ومساعدة الغريب؛ ﴿ فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾؟! استغربا موسى والخَضِر - عليهما السلام - من الموقف لكن تابعا سيرهما في القرية، وإذ بمشهد ملفت للنظر؛ ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ متهالكـاً مائلاً ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ أي: ينهدم، وهو على وشك السقوط، فأسرع الخَضِر عليه السلام ﴿ فَأَقَـامَهُۥ ﴾ بيده فأصلحه، جاء في الصحيح: **((فمسحه بيده فاستقام))**.[3]

وهذه من كرامات الخَضِر عليه السلام[4]. وتعجب موسى عليه السلام من فعل الخير هذا مقابل بخل أهل القرية وامتناعهم عن الضيافة، ولم يتمالك نفسه للمرة الثالثة ونسي ما اشترطه على نفسه؛ ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ! من المال كي تشتري

---

[1] الذَّمَامَة: الحياء والإشفاق من الذم واللوم. **القاموس المحيط**، مادة: (ذم).

[2] أخرجه **مسلم**، رقم: (6165)، سبق تخريجه.

[3] أخرجه **البخاري**، رقم: (4726)، سبق تخريجه.

[4] **التفسير المنير**، الزحيلي، (8/ 336).

طعاماً نأكله! فهؤلاء لئام بخلاء لا يستحقون ما فعلته من عمل الخير. تذكَّر الخَضِر عليه السلام ما اشترط موسى عليه السلام على نفسه، وعلم تماماً أنه لم يستطع صبراً على مواصلة رحلة العلم هذه الشاقة، فقال له: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾؛ أي: انتهت الدروس الثلاثة في طلب العلم، والآن؛ ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

ثانيـًا: اللطائف المستنبطة من الآيات: (71 -77).

1. تأمل كيف تنوعت الأحداث الثلاثة في القصة؛

ففي الحدث الأول جاء ما ظاهره الشر وهو (خرق السفينة) مقابل فعل الخير وهو (حمل أصحاب السفينة موسى والخَضِر عليهما السلام من دون أجر).

والحدث الثاني جاء ما ظاهره الشر وهو (قتل الغلام من دون سبب).

والحدث الثالث جاء فعل الخير حقيقة وهو (بناء الجدار من دون أجر) مقابل فعل الشر حقيقة وهو (امتناع أهل القرية عن الضيافة). وفي هذا دليل على العبد أن يُسلِّم أمره إلى الله تعالى فيما يقدره له من الأحداث فإنه لا يعلم كنهها ولا حقيقتها إلا هو سبحانه وتعالى.

2. ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا ﴾ (مما يدل على أن موسى عليه السلام إنما حمله على المبادرة بإنكار الالتهاب والحمية للحق: أنه قال حين خرق-الخَضِر عليه السلام - السفينة: أخرقتها لتغرق أهلها! ولم يقل: لتغرقنا، فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي، لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق؛ فسبحان

من جَبَل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).[1]

3. كرّر الخَضِر عليه السلام امتناع الصبر من موسى عليه السلام في آيتين متعاقبتين: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ أي: نفى استطاعة الصبر على وجه التأكيد-كما يقول الزمخشري-كأنهما مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير. والرجل الصالح لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار، فكيف إذا كان نبيـًا.[2] لذا أدرك موسى صعوبة الموقف فعلق صبره بمشيئة الله تعالى ليعينه على ما سيرى، ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ واللطيفة هنا أنه ردَّ عليه بالخُلق نفسه وهو: الصبر، وأضاف خلق الطاعة في الطلب للتأكيد، فتأمَّل.

4. ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ ، ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾! قال الرازي: " النكر أعظم من الأمر في القبح لأن قتل الغلام أعظم من خرق السفينة لأنه يمكن أن لا يحصل الغرق، وأمّا هنا فقد حصل الإتلاف قطعـًا فكان أنكر "[3]، والنكر ما أنكرته العقول ونفرت منه النفوس فهو أبلغ في القبح من الأمر، وقيل:

---

[1] من كلام الإمام أحمد بن المنير الاسكندراني، **الانتصاف**، وهو حاشيته على تفسير الكشاف للزمخشري، (2/ 716).

[2] **الكشاف**، الزمخشري، (2/ 716).

[3] **مفاتيح الغيب**، الرازي، (7/ 4416).

الأمر أعظم لأن خرق السفينة يؤدي إلى إتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس إلا إتلاف شخص واحد. [1]

5. ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ ﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ ﴾ عبَّر عن الفعل الأول بقوله: (خرقها) بغير فاء، وقال في الفعل الثاني: (فقتله) بالفاء! يقول الزمخشري: "جعل خرقها جزاء للشرط، وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه، والجزاء: قال أقتلت. فإن قلت: فلم خولف بينهما؟ قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام "[2] مباشرة، فتأمل بلاغة القرآن.

6. ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾، قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وأويس بألف بعد الزاي وتخفيف الياء اسم فاعل. وقرأ الباقون بتشديد الياء من دون ألف. قال أبو عمرو: الزاكية: التي لم تذنب -أي: لم يبلغ سن البلوغ-، والزكيّة: التي أذنبت ثم تابت-أي: كان بالغـًا [3]. أقول: وفي تنوع القراءة إثراء للمعنى وتقويته، وذلك للتأكيد على التعجب الشديد من موسى عليه السلام واستنكاره قتل الغلام سواء وصل سن البلوغ أو لم يبلغ! فتأمل حُسن التنوع.

7. قال الخَضِر عليه السلام في التنبيه الأول لموسى عليه السلام وتذكيره: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ وفي المرة الثانية جاءت الزيادة بـ: ﴿ لَّكَ ﴾ فقال:

[1] **السراج المنير**، الخطيب الشربيني، (2/ 395).

[2] **الكشاف**، الزمخشري، (2/ 717).

[3] ينظر: **تحبير التيسير** لابن الجزري، (ص447)، **وفتح القدير**، للشوكاني، ص1020.

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ! إشارة إلى شدة العتاب، ووَسَمَ موسى عليه السلام بقلَّة الصبر والثبات.[1] فتدبر بلاغة القرآن.

8. ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ إسناد الإرادة إلى الجدار مجاز. قال الزجاج: الجدار لا يريد إرادة حقيقية إلا أن هيئة السقوط قد ظهرت فيه كما تظهر أفعال المريدين القاصدين فوصف بالإرادة، ومنه قول الراعي: في مَهْمَهٍ فُلِقَتْ بِهِ هاماتُها ... فَلْقَ الفُؤوسِ إذا أَرَدْنَ نصولا. [2] ويفيد سرعة سقوطه كلمة: ينقض. يقال: انقض الحائط إذا وقع.[3] فتدبر

المطلب الرابع: شرح الدروس الثلاثة وبيانها. (اللقاء الأخير بين موسى والخَضِر عليهما السلام)

قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

---

[1] ينظر: **الكشاف**، الزمخشري، (2/ 718). بتصرف

[2] : فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، (المتوفى: 429هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م)، ص**254**.

[3] ينظر: **فتح القدير**، الشوكاني، (ص1020)، بتصرف يسير.

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات (78- 82).

قال المعلَّم الخَضِر ﵇ لتلميذه موسى ﵇ بعد قرار الفراق والمفاصلة: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ من الأفعال الثلاثة التي مرّت بنا في هذه الرِّحلة التعليمية.

شرح الدرس الأول: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ التي خرقتها لأعيبها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ فهم ضعفاء لا يملكون غيرها، وهي مصدر رزقهم، ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ بخلع لوحٍ من ألواحها بشكلٍ ظاهرٍ للعيان يعيب منظرها وشكلها، ويقلل من قيمتها وأدائها: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ (أي: أمامهم ظالم مستبد، يستولي على أموال الناس وممتلكاتهم و ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ من دون وجه حق، فكان عملي حماية لهذه السفينة لأصحابها الضعفاء، فأنا لم أعمل سوءاً، وإنما ارتكبت أخف الضررين لدفع أعظمهما).[1] وكانت السفينة ستمر على الملك الظالم ورجاله، وعندما يشاهدونها مخروقه معيبة فسيتركونها تمرُّ ولا يصادرونها، وبعدما تتجاوزهم سيعيد أصحابها إصلاحها، وبذلك تنجو من المصادرة.[2]

شرح الدرس الثاني: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ الذي قتلتُه فقد كان مطبوعـًا على الكفر، وإن لم يبلغ الحلم، فقد أطلعني الله على أمره المستقبلي، وسيكون مفسداً في الأرض ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ صالحين على خلاف عقيدته، وله في قلبهما مكانة عظيمة وحبـًا شديداً ﴿فَخَشِينَآ﴾ وخفنا خوفـًا شديداً في المستقبل إذا كَبُرَ وكانت

[1] ينظر: **التفسير المنير**، الزحيلي، (8/ 337). بتصرف.

[2] **القصص القرآني**، الخالدي، (ص323).

له سيطرة وقوة أن يؤثر في والديه و﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ بأن يحملهما حبه على متابعته في الكفر والوقوع في الظلم والعصيان والمنكرات وهو قوله: ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾.[1] ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ بولدٍ ﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾ صلاحـًا وتقى أي: ﴿زَكَوٰةً﴾ . قال ابن عباس رضي الله عنهما: "دينـًا" [2] ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أقرب رحمة عليهما وبراً بهما.

شرح الدرس الثالث: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ المائل الذي أصلحته من دون أجر ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ ضعيفين ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ ؛ القرية نفسها ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾؛ مال مدفون من ذهب وفضة أو غيرهما؛ دفنه أبوهما قبل موته، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فلصلاحه أكرم الله الغلامين، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ فيكبران ويعتمدان على أنفسهما، ثم يهيئ الله لهما الأسباب ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ وقد كمل فيهما الرشد والعقل الناضج، وذلك: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ بهما وبفضل صلاح أبيهما.

وفي ختام اللقاء يا موسىعليه السلام فإن كل ما شاهدته وعلمته؛ ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ واجتهادي إنما هو بأمر الله ووحيه[3]؛ ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ فهذه هي شروح الدروس الثلاثة التي لم تطق السكوت عنها، وقد وعدتك بتفسيرها

---

[1] ينظر: **التسهيل**، ابن جزيّ، (2/ 373)، **والتفسير المنير**، الزحيلي، (8/ 337).

[2] **روح المعاني**، الآلوسي، (8/ 469).

[3] يقول **ابن جزيّ**: ((وهذا دليل بنبوة الخَضِرعليه السلام)). وينظر: **التسهيل**، ابن جزيّ، (2/ 373).

في أول اللقاء بقولي ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾ وإلى هنا انتهت القصة وتفارق الرجلان عليهما السلام. (عاد موسى ﷺ إلى بني إسرائيل وقد ازداد علماً ومعرفة، وذهب الخَضِر ﷺ إلى مكان آخر، لم تحدده النصوص، فكما ظهر في القصة فجأة، كذلك غادر القصة واختفى فجأة. فلا نعرف من أين جاء، ولا نعرف إلى أين ذهب، ولا ماذا كانت نهايته ﷺ!!)[1]. [2]

ثانياً: اللطائف المستنبطة من الآيات (78– 82).

1. ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ ﴾ تكرار الكلمة لزيادة التأكيد على مسألة المفارقة في الصحبة.
2. ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾ السبب الرئيس لإعابة السفينة كونها للمساكين ، أما كون أن الملك الظالم يأخذ كل سفينة غصبا، ليس بسبب آخر[3]، وإنما هو مناسبة للسبب الرئيس لذا قدَّم جملة: (فأردت أن أعيبها) عنه للتأكيد.[4] فتأمل جمال الأسلوب.

---

[1] **القصص القرآني**، الخالدي، (ص328).

[2] تعقيب مهم: أثارت القصة أسئلة عديدة عن شخصية الخَضِر عليه السلام، سكت عنها القرآن ولم ترد في كتب الصحاح، فعلى المؤمن التسليم بما جاء وذُكر. ولا يلتفت إلى بعض الاعتقادات الخاطئة كالقول بأنه مازال حيًّا وسيبقى إلى يوم القيامة حيًّا، وأنه يأتي إلى الأولياء خاصة في كل زمان! وغيرها مما لا يثبت فيها دليل صحيح. بل الراجح عند العلماء والجمهور أنه توفي مثله مثل غيره من الأنبياء عليهم السلام أو الصالحين الزهّاد، والله أعلم. ينظر الرد على القائلين بحياته في تفسير **روح المعاني**، للآلوسي، (8/ 38–426).

[3] كما عدَّه الزمخشري في كشافه! ينظر: **الكشاف**، (2/ 722).

[4] ينظر: **حاشية الكشاف للزمخشري**، للإمام أحمد الإسكندراني، (2/ 722)، بتصرف.

3. قال : ﴿ فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾؟! ولم يقل: (فأبوا أن يطعموهما)، علماً أن موسى والخَضِر عليهما السلام ما طلبا إلا الطعام، قال تعالى: ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا ﴾ . وفي هذا وصف دقيق على لؤم أهل القرية واجتماعهم على خصال البخل إذ منعوا تقديم الطعام والضيافة معاً! فتأمل دقة التعبير القرآني.

4. العرب تؤثر اختلاف الكلام على اتفاقه مع تساوي المعاني، لأنه أعذب على الألسن، وأحسن موقعاً في الأسماع [1] . وهنا تدبَّر كيف تنوع أسلوب الخَضِر عليه السلام في صيغ الإرادة في الجمل الثلاثة الآتية:

- أولاً: قال عن سبب خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ (أسند الفعل إلى نفسه لأنها لفظة عيب، فتأدباً لم يسندها إلى الله، وذلك كقول إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ [سورة الشعراء: ٨٠] فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدباً).[2]

- ثانياً: قال عن سبب قتل الغلام: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ عبَّر عن نفسه بلفظ الجمع-كما يقول الخازن- " تنبيها على أنه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة، وأنه لم يقدم على مثل هذا القتل إلا بحكمة عالية- بأمر الله تعالى" [3].

---

[1] **زاد المسير**، ابن الجوزي، (ص 867).

[2] **التسهيل**، ابن جزيّ، (2/ 373).

[3] **لباب التأويل** الخازن، (3/ 174).

- ثالثًا: قال عن سبب إصلاح الجدار: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾، (أسند الإرادة إلى الله تعالى، لأنها في أمر مغيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله).[1] وكذا (لما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله سبحانه وتعالى لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله سبحانه وتعالى، فلأجل ذلك أضافه إلى الله تعالى[2] .

5. ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾، أضاف الرب إلى ضمير موسى تشريفًا له عليه السلام[3] فسبحان الله الذي أودع في الأنبياء عليهم السلام كمال الخلق.

6. عبَّر عن المكان الذي أتياه الخَضِر وموسى عليهما السلام بتعبيرين مختلفين فمرَّة قال قرية وهو إخبار من الله تعالى؛ قال: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ﴾ ومرَّة قال: المدينة وهو من كلام الخَضِر عليه السلام؛ قال: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ ! واللطيفة في اختلاف التعبيرين كما قال الصاوي: "عبّر عنها بالقرية أولاً تحقيراً لها، لكون أهلها لم يضيفوهما، -إذ معروف عند أهل القرية الكرم والنخوة- وعبّر عنها

---

[1] **التسهيل**، ابن جزيّ، (2/ 373).

[2] **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ)، (3/ 174).

[3] ينظر: **فتح القدير**، الشوكاني، (ص1021).

بالمدينة تعظيماً لها، من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما- لصلاحهما". [1]

7. ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ فيه دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية بالأبناء، [2] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((حُفِظا لصلاح أبيهما)). [3]

8. ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ تأمّل كيف أشار الخَضِر عليه السلام إلى صفتين إن توافرت في الولد كان من البَّارين بوالديه؛ زكاة النفس والمقصود طهارتها بالدين، وصفة الرحمة والشفقة. والأولى معينة على الثانية، لذا قيد الدعاء بها للوالدين في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٢٤]

9. جملة: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ استدل بها العلماء على نبوة الخَضِر عليه السلام، لأن المعنى ما فعلته عن اجتهادي مني إنما هو بأمر الله ووحيه. [4]

10. ما سرُّ التعبير بين كلمتي: (تستطع) و(تسطع) في إجابة الخَضِر عليه السلام ؟ الجواب: لما كان الإشكال للأفعال الثلاثة من الخَضِر عليه السلام قويةً ثقيلةً على نفسية موسى عليه السلام قال له: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ بالتاء! ولما فسَّر له الخَضِر عليه السلام الإشكال وأزاله وبينهَّ سكنت نفس موسى عليه السلام،

---

[1] ينظر: **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**، أحمد الصاوي، (2/ 540). تحقيق: عبد الله المنشاوي، (القاهرة: دار الحديث، د. ط، 2011م).

[2] **روح المعاني**، الآلوسي، (15/ 472).

[3] رواه ابن جرير الطبري وهو صحيح، ورجاله تقات وسنده متصل، ينظر: **جامع البيان**، الطبري، بقلم المحقق: إسلام عبد الحميد، (7/ 655).

[4] قال ابن جزيّ: ((وهذا دليل على نبوة الخَضِر عليه السلام)). ينظر: **التسهيل**، ابن جزيّ، (2/ 373).

فقال له: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ من دون تاء. يقول ابن كثير: "فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف، كما قال في سد يأجوج ومأجوج، ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ وهو الصعود إلى أعلاه ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ وهو أشق من ذلك فقابل كلاً بما يناسبه لفظًا ومعنىً".[1]

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي العدنان وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد؛ فهذا ختام الحديث عن اللطائف المستنبطة من قصة موسى والخَضِر عليهما السلام وهي القصة الثالثة من قصص سورة الكهف الأربعة الرئيسة، وقد خلص الدراسة إلى النتائج الآتية:

- لبّ قصة موسى والخَضِر عليهما السلام عن العلم وطلبه وآدابه.
- تُعرَّف اللطيفة بأنها " كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم لا تسعها العبارة" وهي بهذا تختلف عن الفوائد العامة المستخلصة من الآيات أو المعنى العام لها.
- من أشهر علماء التفسير الذين استعملوا مصطلح اللطيفة التدبرية هم: أبو بكر الرازي، وأبو حيان، وابن عادل، والخطيب الشربيني، وابن عجيبة، والآلوسي، والقاسمي، ومحمد رشيد رضا، وابن عاشور.

[1] **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، (105/3).

- الراجح عند جمهور العلماء أن الخَضِر عليه السلام نبي، وأن الله توفَّاه كغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين.
- عدد اللطائف المستنبطة من قصة موسى والخَضِر عليهما السلام من وجهة نظر الباحث: (33) لطيفة.
- أكثر اللطائف المستنبطة في باب الإعجاز البياني للكلمة.

هذا وتوصي الدِّراسة طلبة العلم والمختصين بالكتابة في موضوع اللطائف التدبرية في كتب التفسير عمومـًا ومناهج العلماء في إيرادها على وجه الخصوص، لا سيما الأعلام المذكورين في هذه الدراسة، وعلى سبيل المثال يمكن أن يكون من الموضوعات المقترحة للدراسة بحثا بعنوان: اللطائف التدبرية في تفسير الآلوسي: (روح المعاني) ومنهجه فيها. وكذا: اللطائف التدبرية في تفسير البحر المحيط (جمعـًا ودراسة).

هذا والحمد لله رب العالمين.



قائمة المصادر والمراجع

1. مصحف المدينة النبوية: (النشر الحاسوبي).

2. **ابن جزيّ ومنهجه في التفسير**، علي الزبيري، (دمشق: دار القلم، ط أولى ، 1407 هـ – 1987م).

3. **البحر المحيط**، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، علي معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ثالثة، 2010م).

4. **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، ط أولى، 1408، هـ – 1988 م).

5. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، (تونس: دار سحنون، د.ط، د.ت).

6. **التسهيل لعلوم التنزيل**، محمد بن أحمد ابن جزيّ الكلبيّ، تحقيق: رضا الهمامي، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1435 هـ – 2014م).

7. **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (دار الكتب العلمية ببيروت، ط أولى ، 1403هـ –1983م).

8. **تفسير الجلالين**، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، (القاهرة: دار الحديث، ط أولى ، د.ت).

9. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير الدمشقي، (بيروت: دار المعرفة، ط ثانية، 1407 هـ – 1987م).

10. **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، محمد الرازي فخر الدين، (بيروت: دار الفكر، ط أولى ، 1425 هـ – 2005م).

11. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، أ.د.وهبة الزحيلي، (دمشق: دار الفكر، ط عاشرة، 1430 هـ – 2009م).

12. **تفسير سورة الكهف**، ابن العثيمين، (الرياض: دار ابن الجوزي، ط أولى ، 1423هـ).

13. **تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمعه وحققه وعلق عليه: إياد بن عبد اللطيف القيسي، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط أولى ، 1432 هـ).

14. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة: عبد الرحمن اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط أولى ، 1423 هـ – 2002م).

15. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر الطبري، (القاهرة: دار الحديث، د.ط، 1431 هـ – 2010م).

16. **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**، أحمد بن أحمد الصاوي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، (القاهرة: دار الحديث، د.ط، 1432 هـ – 2011م).

17. **الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور**، جلال الدين السيوطي، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت).

18. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين الآلوسي، تحقيق وتخريج: د. السيد محمد السيد؛ سيد عمران، (القاهرة: دار الحديث، د.ط، 1426 هـ - 2005م).

19. **زاد المسير في علم التفسير**، محمد ابن الجوزي، (بيروت: دار ابن حزم، ط أولى، 1436 هـ - 2015م).

20. **سر زيادة وحذف الياء وإبدالها في الرسم القرآني**، عبد المجيد العرابلي، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط أولى، 2010م.

21. **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، شمس الدين، محمد ابن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، (القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية)، د. ط، 1285 هـ).

22. **صحيح البخاري**، أبي عبد الله البخاري الجعفي، (الرياض: دار السلام، ط ثانية، 1419 هـ - 1999م).

23. **صحيح الجامع الصغير** وزيادة، ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت).

24. **صحيح مسلم**، أبي الحسين مسلم، (الرياض: دار السلام، ط أولى ، 1419 هـ).

25. **فتح القدير، محمد الشوكاني**، (الرياض: دار الأخيار، ط ثانية، 1424 هـ).

26. **فوائد في طلب العلم من قصة موسى والخضر عليهما السلام**، إبراهيم بن فهد الودعان، 1349هـ، منشور على شبكة الألوكةwww.alukah.nen

27. **القاموس المحيط**، مجد الدين الفيروزآبادي، (دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ط، د.ت).

28. **القصص القرآني** د. صلاح الخالدي، (دمشق: دار القلم، ط ثالثة، 1432 هـ - 2011م).

29. **لباب التأويل في معاني التنـزيل،** علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط أولى ، 1415 هـ).

30. **لسان العرب،** محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، تحقيق ياسر أبو شادي، ومجدي السيد، (مصر: المكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت).

31. **مباحث في علوم القرآن،** منَّاع القطان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ثالثة وعشرون، 1419 هـ- 1998م).

32. **محاسن التأويل،** محمد القاسمي، (بيروت: دار الفكر، 1425 هـ- 2005م).

33. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق: هاني الحاج، (القاهرة: دار التوفيقية للتراث، د.ط، د.ت).

34. **مختصر التبيين لهجاء التنـزيل،** للإمام أبي داود سليمان بن نجاح، دراسة وتحقيق: أحمد بن أحمد شرشال، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط أولى ، 2002م).

35. **المستدرك على الصحيحين،** الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط أولى ، 1411 هـ- 1990م).

36. **مقاييس اللغة،** أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (بيروت مؤسسة الرسالة، ط ثانية - 1406 هـ - 1986م).

37. **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.** www.quran-m.com

38. **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع، (المطبعة التجارية الكبرى، د.ت).

39. **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع، (المطبعة التجارية الكبرى، د.ت).

40. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م).

